الدّور الرّابطي لـ"أل" التعريف في الحديث النبوي الشريف "دراسة تطبيقية في الأربعين النووية"

أ.عادل رماش

جامعة محمد لمين دباغين"سطيف2"

الملخص بالعربية:

تتعامل اللسانيات النصية مع النص على أنّه وحدة كلية ،لذلك ركزت بحوثها على الأسباب التي تؤدي إلى تماسكه وتلاحم أجزائه ، واشتغلت بتحديد أدوات اتّساقه وآليات انسجامه وإحالية ألفاظه وعباراته،ومن بين هذه الروابط الإحالية المحققة لهذا التلاحم ،نجد "أل" التعريف،لذا يهدف هذا المقال إلى بيان الدور الرابطي لـ"أل" التعريف ،ومدى تحقيقها اتساق وانسجام الحديث النبوي الشريف، من خلال الاقتراب من مدونة الأربعين حديثا النووية.

الكلمات المفاتيح بالعربية:

اللسانيات النصية، النص، الاتساق ، الانسجام،الإحالة، "أل" التعريف، أحاديث الأربعين النووية.

***Sommaire**:*

Textlinguistics deals with the text as an integral unit, that is why its researches focus on the reasons leading to the cohesion and coherence of its parts and concern on identifying tools of coherence ,mechanisms of cohesion and reference of its words and expressions.

Among the referential links which canrealize this coherence,we can name the definite article.أل/AL/

*The refore , this article aims at revealingitsrole in the binding and how it can realize cohesion and coherence inside the hadith especially in the corpus entitled"**The forty hadith of AL NAWAWI"***

الكلمات المفاتيح بالانجليزية:

Text linguistics ,text ,the cohesion, coherence ,reference the definite article.أل/AL/,The forty hadith of AL NAWAWi.

مفهوم "أل" التعريف:

تدخل "أل" التعريف على الاسم النكرة فتجعله معرفة، ولكي تكون للتعريف لابد أن يكون الاسم بعدها نكرة محتاجا إلى التعريف (1)"، وينسب إليها أنها من الأحرف المختصة وتتقدم العبارات الدالة على ما سبق ذكره.

يعتبر سيبويه الألف في "أل" التعريف زائدة قدمت لإسكان اللام ،بخلاف ما ذكره"الخليل" من أنها ثابتة(2) ولخّص السكاكي الخلاف بين "سيبويه" و"الخليل" بشأن أصل اللام بقوله: " واللام على مذهب سيبويه تأتي للتعريف نحو: الغلام، والهمزة عنده للوصول ولذلك لا تثبت فيه، بخلاف "الخليل " فإن سقوطها عنده لمجرد التخفيف لكثرة دورانها."(3) ،"وزعم ابن مالك أنّه لا خلاف بين سيبويه و الخليل في أنّ المُعرِّف"أل" (4).

ومن صور" الربط بالإحالة الربط بأداة التعريف (أل)" (5) و قد عُدّت أداة التعريف من الظواهر المحققة للتّرابط والاتساق في النص، فقد اعتبرها "هاليداي" و"حسن" أداة التعريف The في الانجليزية من قبيل الوحدات الاشارية المحايدة ولها نوعان من الإحالة: إحالة مقامية تتحدّد بالسياق المقامي أو بالدلالة على الجنس أو بالعرف، وإحالة مقالية وبعدية(6) ،فالدور الأساسي لـ "أل" التعريف هو التحديد والإحالة، التي تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه(7)و"أل" التعريف وردت في أحاديث الأربعين النووية ثلاثة وأربعين ومائتي مرة (243) وتنقسم إلى قسمين: عهدية وجنسية، نعرضهما كما يلي:

1 – "أل" العهدية:

تفيد تحديد شيء في النص معهود عند المخاطب، "حيث تؤدي إلى عملية ذهنية في المتلقي تتم بالانتقال من الاسم النكرة إلى الاسم المحلى بالألف واللام، فبقولك (رجل) تعني واحدا ممن يقع عليه هذا الاسم، أما قولك (الرجل) فهو تذكير المتلقي بشيء تقدم ليعود إلى ذهنه ما عهده من أمره"(8)، وهي على ثلاثة أنواع:

1-1- ذات العهد الذكري:

وهو أن يتقدم مصحوبَ "أل" ذكر في الكلام حقيقة أو تقديرا نحو قوله:{ اللهُ نورُ السَّمَاواتِ والأَرضِ مثلُ نُورِهِ كَمِشكاةٍ فِيهَا مِصبَاحٌ المِصبَاحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كوكبٌ دريٌّ ....}النور: 35

في البداية تقدم ذكر الاسم النكرة (مصباح) ذكرًا حقيقيا في النص، ثم جاء ذكرها بعد اقترانها بأداة التعريف "أل" ولذا تسمى عهدية ذكرية لأنّ ما اتصلت به معهود بما سبق ذكره في النص.

وحسب صاحب "المغني" فإن ضابط العهد الذكري أن يسُدَّ الضمير مَسَدَّ "أل" مع مصحوبها(9) كقولك: (كتبتُ كتابًا ثم أهديتُ الكتابَ) نلاحظ أن الاسم المقترن ب"أل" التعريف جاء في درج الكلام لا في مُفتتحِه، وقد اقتضى الحال هنا الإظهار بـ "أل" بدل الإضمار وهذا يكون لغرض التعظيم أو البيان أو تجنب اللبس، ويجوز هنا تعويض مصحوب "أل" بضمير الغائب فتقول: (كتبت كتابا ثم أهديتُهُ)، حيث سد الضمير المتصل (هاء الغائب) مسد "أل" مع مصحوبها فكانت "أل" فيه من محققات ربط الجملة بسابق الكلام وصحة حلول ضمير الغائب محل المعهود عهدا ذكريا يدعم قيامها بالدور الرابطي لكونه هو أيضا من أسس الترابط فـ "أل" هنا تجاوزت فائدة تعريف الشيء المعهود ذكره لدى المخاطب إلى الربط بين نكرتين النّكرة الثانية هي الضمير والنكرة الأولى هي مرجع الضمير، منبهة إلى أن مدلول ما دخلت عليه هو مدلول النكرة السابقة المماثلة لها في لفظها، الخالية من "أل"، وهنا تكون قد حققت الربط المعنوي بين الجملتين، والاتساق الدلالي في النص.

جاءت "أل " العهد الذكري في المدونة خمس عشرة مرة، ومثالنا:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رصي الله عنه قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: " إِنّ أَحدكُم يُجمعُ خَلقُهُ في بَطنِ أُمِّهِ أَربعينَ يَومًا نُطفةً، ثُمّ يَكُونُ عَلَقةً مِثلُ ذَلِكَ، ثم يَكونُ مُضغَةً مِثلُ ذَلكَ، ثُّمَّ يُرسَلُ إِليهِ الملكُ، فَينفُخُ فيهِ الرُّوحَ، ويُؤمَرُ بِأربَعِ كَلِماتٍ: بِكَتبِ رِزقِهِ وَأَجلِهِ وعَملِهِ، وشَقِيٌّ أو سَعيدٌ، فو الَّذِي لاَ إِلهَ غَيرُهُ، إِنَّ أَحدَكُم لَيعملُ بِعملِ أَهلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَينَهُ وَبَينهَا إِلاَّ ذِراعٌ، فَيسبِقَ عَليهِ الكِتابُ فَيعملَ بِعملِ أَهلِ النَّارِ فَيدخُلهَا، وَإِنَّ أَحدَكُم لَيعمَلُ بِعمَلِ أَهلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَينهُ وبَينهَا إِلاَّ ذِراعٌ فَيسبِقَ عَليهِ الكِتابُ، فَيعملَ بِعملِ أهلِ الجنّةِ فَيدخُلَهَا." (10) رواه البخاري ومسلم

فلفظ (الكتاب) قد سبق ذكره في النص، والكتاب إما مضاف لمحذوف في المعنى أي مضمون الكتاب أو بمعنى اسم المفعول: أي "المكتوب" و"أل" في الكتاب للعهد الذكري لتقدمه في قوله " يكتب رزقه.." (11) فصار الرابط اللفظي "أل" يثير لدى المتلقي معرفة خلفية عن الكتاب" بناءً على ما تم تقديمه في بداية النص فنلاحظ أن هذه الأداة "أل"

ساهمت في ترابط وتماسك تراكيب النص وهي في كل مواضعها منه قد جعلته كتلة واحدة تدفع لدلالة واحدة هي أن كل ما يعمله العبد مقدر عليه ومكتوب وأنه لا ينفع حذر مع قدر.

ويبدو جليا دور "أل" العهدية الذكرية في الإحالة إلى سابق في النص والدلالة عليه، ذلك أن أصل الإحالة الربط بالضمير، والضمير يصح أن يسد مسد "أل" العهدية عهدا ذكريا مع مصحوبها، فالمحيل هو أداة التعريف مع مصحوبها (الكتاب) والمحال إليه هو المتقدم ذكره (يؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد) وقد تقدم ذكر المحال إليه نكرة كما تقدم ذكره معرفة عند تكرار لفظة (الكتاب) وهكذا يتحقق الاتساق النصي من خلال إحالة "أل" مع مصحوبها إحالة داخلية قبلية.

والمتلقي حين يقرأ النص لا يذهب تأويله إلى أن هذا "الكتاب" هو كتاب في أي علم من العلوم مثلا ولا القرآن الكريم، بل يبقى تأويله محليّا وهو "الكتاب" الذي يكتب عند ولادته ويضم (رزقه، وأجله، وعمله

وشقي أو سعيد) أي قدره وصحيفة أعماله، وهذا التأويل حصل بفضل "أل" ومصحوبها التي قيدت هذا التأويل عن طريق الإحالة إلى ما تقدم ذكره في النص وهذا ما يسمى (مبدأ التأويل المحلي) الذي" يضمن عدم إنشاء سياق أكبر مما هو ضروري لضمان الفهم الصحيح للخطاب وتحقيق انسجام النص". (12)

1-2- ذات العهد الذهني:

وهو أن يتوافر في ذهن المخاطب معرفة سابقة أو خلفية عن مصحوب "أل" التعريف ولا يشترط ذكرها في الكلام، كقولنا: (يقل الماء في الصحراء وتشتد الحرارة فيها) ففي هذا المثال أسماء معرفة بـ"أل" مصحوبها معهود دون أن يتقدم له ذكر في سابق المقال، فالماء والصحراء، والحرارة من الأشياء المعهودة المألوفة بالنسبة للمخاطبين عهدا يقوم على سابق المعارف والعرف.

وتحدث سيبويه عن "أل " التعريف بالعهد الذهني للمخاطب بقوله: وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تُذَكِّرُهُ رجلا قد عرفه، فتقول: الرجل الذي أمره كذا وكذا، ليتوهم الذي كان عهده ما تذكره من أمره"(13) أما المعرفة السابقة التي تصلح لتعريف النكرة فتختص بالمتلقي لأنه هو الذي يحكم في النهاية على نجاح عملية التواصل من عدمها، وهو ما يسمى في نحو النص ب"المعرفة الخلفية للعالم" أي أن "يكون للمخاطب سابق معرفة بالشيء تساعده على تأويل النص تأويلا مقبولا يحقق انسجامه". (14)

وأغلب "أل" العهدية كانت في المدونة من العهد الذهني أي قرابة خمس وسبعين ومائة مرة (175) لأنّ الألفاظ التي ارتبطت بها معروفة وتكررت كثيرا مثل: الله، الجنة، النار، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الخير الشر السماء، الأرض، ...الخ، ومن أمثلة ذلك:

عَن أَبي مَالِكٍ الحَارِثُ بنُ عَاصِمٍ الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: "الطَّهورُ شَطرُ الإيمانِ، وَالحَمدُ للهِ تَملأُ الميزَانَ، وَسُبحَانَ اللهِ وَالحَمدُ للهِ تَملآنِ أَو تَملأُ مَا بَينَ السَّمَاواتِ وَالأَرضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ، وَالصَّبرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغدُو، فَبَائِعٌ نَفسَهُ فَمُعتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا"(15) رواه مسلم.

فهذا الحديث الشريف يعد أصلاً من أصول الإسلام، "اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام"(16) فكل الألفاظ (الطهور، الإيمان، الله، الميزان، السماوات، الأرض، الصلاة، الصدقة، الصبر، القرآن، الناس) معهودة في ذهن المتلقي ومعروفة بحكم العرف والدين، لذا فأداة التعريف "أل" المقترنة بها هي "أل" العهدية الذهنية وهي تحيل إلى مراجع كلها خارج النص، أي أنّ "أل" ومصحوبها يحيلان إحالة خارجية تفيد في انسجام النص وتفسيره وفهمه فدلت بذلك على تقدم مصحوبها دون أن يكون له ذكر في الكلام، أي أنها صرفت النظر إلى شيء سابق يعلمه المخاطب، ولكن هذا الشيء غير مذكور في نص الكلام، وهي بذلك تشبه المتكلم والمخاطب من حيث أنها تحيل في غالب الأحيان إحالة إلى خارج النص.

1-3-ذات العهد الحضوري:

وهي ليست للرّبط، حيث يُشترط أن يكون مصحوب "أل" حاضرا وقت الكلام، وهو حاصل من المقام الذي ينشأ فيه القول: مثال: (ناولني الكرسي) تقولها للمخاطب في مكان معين فيه كرسي واحد، فالكرسي معروف في المقام ولم يسبق ذكره، ف "أل" هنا عهدية حضورية وليست ذكرية أي مقامية وليست مقالية.

ونقل ابن هشام أن "أل" العهدية الحضورية لا تقع إلا في المواضع التالية: (17)

في اسم الزمان الحاضر نحو (الآن، اليوم...) مثل: "اليوم أكملت لكم دينكم" المائدة 53

بعد أسماء الإشارة نحو (جاني هذا الرجل)

بعد "أي" في النداء نحو (يا أيها الرجل)

بعد إذا الفجائية نحو (خرجت فإذا الأسد)

نلاحظ أن "أل" في المنادى هي للعهد الحضوري، كون المنادى في النداء الحقيقي هو المخاطب، فهو حاضر في النداء و "أل" في اسم الزمان الدال على زمان التخاطب، رغم أنك تحس بوجود صيغة الغائب فيها إلا أنه غلب عليها معنى التخاطب وصُرف معهود "أل"

إلى العهد الحضوري أما "أل" المقترنة باسم الإشارة وإذا الفجائية فإنها تحتمل العهد الحضوري مثلما تحتمل العهد الذكري وهذا بحسب سياقها.

فما خلص للعهد الحضوري لـ "أل" في المنادى وأسماء الزمان الدالة على زمان التخاطب لا يمكن أن يكون لها دور رابطي، أما "أل" بعد إذا الفجائية واسم الإشارة، فإنها قد تقوم بدور الربط بين الجمل متى كان مصحوبها قائما على العهد الذكري.

ولم ترد "أل" العهد الحضوري في مدونتنا إلا مرة واحدة، في المثال التالي:

عَنْ عُمرَ رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: بَينمَا نَحنُ جُلوسٌ عِندَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ و آلهِ وسَلَّم ذَاتَ يومٍ، إِذْ طَلَعَ عَلينَا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوادِ الشَّعرِ، لَا يُرَى عَليهِ أَثرُ السَّفرِ، وَلَا يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَ آلهِ وَسَلَّمَ، فَأَسنَدَ رُكبتيهِ إِلى رُكبتيهِ، ووضعَ كَفَّيهِ عَلَى فَخِذَيه وَقالَ: يَا مُحمَّدُ أَخبرنِي عَن الإِسلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: " الإِسلاَمُ أَنْ تَشهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحجَّ البَيتَ إِنْ اسْتَطعتَ إِليهِ سَبيلًا"، فَقَالَ "صَدَقتَ"، قَالَ: فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخبرنِي عَن الإِيمانِ، قَالَ: " أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ وَملَائِكَتِهِ، وكُتبِهِ وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ،"، قَالَ: صَدَقتَ، قَالَ: فأَخبرنِي عَن الإِحْسانِ: قَالَ: " أَنْ تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" قَالَ: فَأَخبرنِي عَن السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا المسؤولُ عَنهَا بِأعلمَ مِنَ السَّائِلِ" قَال: فَأخبرنِي عَن أَماراتِهَا: قَالَ:" أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاولُونَ فِي البُنيانِ"، ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لي: " يَا عُمَرُ أَتَدرِي مَن السَّائِلُ؟" قُلتُ: اللهُ ورسولُهُ أَعلَمُ قَال: " فَإِنَّهُ جِبريلٌ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُمْ " (18) رواه مسلم.

ففي حديث جبريل الطويل هذا، كان جبريل عليه السلام يسأل و النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيبه في كل مرة حتى وصل إلى السؤال عن الساعة فرد عليه الصلاة والسلام على سؤاله بقوله: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" فكانت "أل" المقترنة بـ (السائل) من العهد الحضوري لأنها تشير إلى جبريل عليه السلام فهو "المُخَاطَب" والنبي صلى الله عليه وسلم هنا هو "المخاطِب"فوجود المخاطَب أثناء الحديث دليل على أنّ "أل" هنا للعهد الحضوري، فهي لم تؤد دور الرابط وإنما قام مقامها بالربط والإحالة في النص وجود المخاطَب.

2- أل الجنسية:

وهي ليست للربط أيضا، وتدخل على نكرة فتفيد معنى الجنس، ولا يُرَادُ بها واحد معين من أفراد الجنس كما في العهدية، ولذلك ليس لها معهود بل لها مدخول في ثلاث حالات.(19)

أ –استغراق جميع أفراد الجنس، ولها ثلاث علامات:

–أن تعوض ب (كل) حقيقة، نحو قوله تعالى: {وخُلقَ الإنسانُ ضعيفاً} النساء 28. أي كل جنس دون استثناء.

– صحة الاستثناء من مدخولها نحو: { إنَّ الإنسانَ لفي خُسرٍ} العصر: ٢.، أي كل جنس الإنسان في خسر باستثناء الذين آمنوا.

– وصفه بالجمع نحو: {.... أو الطِّفل الّذينَ لم يظْهروا على عوراتِ النِّساءِ } النور: ٣١، فالطفل مفرد لكن اقترانه ب "أل" الجنسية جعله يوصف بالجمع ويستغرق جميع جنس الأطفال.

ب – استغراق جميع خصائص الأفراد، وعلامته أن يخلفها (كل) مجازا لا حقيقة نحو:{ ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه } البقرة: ٢ أي (الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب).

ج – تعريف الماهية والحقيقة والجنس، ولا يخلفها (كل) حقيقة ولا مجازا نحو: { وجعلناَ منَ الماءِ كلَّ شيء حيٍّ } الأنبياء: ٣٠، أي متعلقة بنوع الجنس فلا يجوز قولنا : وجعلنا من ماء كل شيء حي.

وتحدث سيبويه عن استعمالات "أل "الجنسية في قوله "...واعلم أنك لا يجوز أن تقول (قومك نِعمَ صغارهم وكبارهم) إلا أن تقول (قومك نِعمَ الصغار والكبار) و (قومك نِعمَ القوم)، وذلك إن أردت أن تجعلهم من جماعات ومن أمم كلهم صالح...، وما أضاف إليه وما أشبهه نحو (غلامُ الرَّجلِ) إذا لم تُرِد شيئا بعينه."(20)

ونلاحظ من هذا القول انتقال حكم المضاف إليه إلى المضاف، فما أضيف إلى ما اتصلت به "أل" الجنسية يكتسب منه الإطلاق لا التعيين، وبالتالي فالإضافة لا تكون ذات دور رابطي إلا إذا كانت "أل" في المضاف إليه قائمة على العهد المقالي الذكري أو الذهني.

والمعرف ب "أل" الجنسية يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، وهو ما يفرقه عن اسم الجنس النكرة الذي يدل على مطلق الحقيقة، مثال : (تراب، لبن...)"، لذلك اعتبر النحاة "أل" الجنسية لتعريف العهد أيضا لأن الأجناس أمور معهودة في الأذهان بالعرف."(21)

ذكرت "أل" الجنسية في المدونة ثمان وأربعين مرة (48)، منها:

عَنْ أبي هُريرَةَ رَضيَ اللهُ عَنهُ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ نَفَّسَ عَن مُؤمِنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيَا، نَفَّسَ اللهُ عَليهِ كُربَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيهِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَمنْ سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ في عَونِ أَخيهِ...."(22) رواه مسلم.

فجاءت لفظة (العبد) مقترنة بـ "أل" الجنسية لأنها تفيد استغراق الكلام في خصائص العباد، وواضح أنها لم تؤدي دور الربط النصي.

3- أل النائبة عن الضمير:

هذا النوع ذكره الكوفيون وتبعهم في ذلك "ابن مالك"(23)، وعده ابن هشام رابطا من روابط الجملة بما هي خبر عنه، لأن العربية قديما كانت تستخدم "أل" للربط بدلا من الضمير(24)، وذكرها "تمام حسان" بقوله: " وقد يتحقق الربط ب "أل" التي يعاقبها الضمير وهي الدالة على الجنس المقيد بمضاف إليه مقدر أغنت عنه "أل" كما في قوله تعالى:{وَ أَمَّا من خافَ مقامَ ربِّهِ ونهى النّفسَ عن الهوى فإنَّ الجنَّةَ هيَ المأوى }النازعات: ٤٠ – ٤١، أي نهى نفسه عن هواها فإن الجنة هي مأواه."(25)

فنلاحظ أن مصحوب "أل" النائبة عن الضمير لم يسبق له ذكر في النص، فهي ليست من العهد الذكري وتحتمل أن تكون جنسية أو ذات عهد ذهني، غير أن إمكانية تعويضها بالضمير هو ما يجعلها نائبة عنه.

وقد وردت "أل" النائبة عن الضمير في مدونتنا أربع مرات منها المثال التالي:

عَنْ عُمرَ رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: بَينمَا نَحنُ جُلوسٌ عِندَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ و آلهِ وسَلَّم ذَاتَ يومٍ، إِذْ طَلَعَ عَلينَا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوادِ الشَّعرِ، لَا يُرَى عَليهِ أَثرُ السَّفرِ، وَلَا يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، فَأَسنَدَ رُكبتيهِ إلى رُكبتيهِ، ووضعَ كَفَّيهِ عَلَى فَخِذَيه وَقالَ: يَا مُحمَّدُ أَخبرنِي عَن الإِسلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: " الإِسلاَمُ أَنْ تَشهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحجَّ البَيتَ إِنْ اسْتَطعتَ إِليهِ سَبيلًا"، فَقَالَ "صَدَقتَ"، قَالَ: فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخبرنِي عَن الإِيمانِ، قَالَ: " أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ وَملَائِكَتِهِ، وكُتبِهِ وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ،"، قَالَ: صَدَقتَ، قَالَ: فأَخبرنِي عَن الإِحْسانِ: قَالَ: " أَنْ تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" قَالَ: فَأَخبرنِي عَن السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا المسؤولُ عَنهَا بِأعلمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأخبرنِي عَن أَماراتِهَا: قَالَ:" أَنْ تَلِدَ

الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاولُونَ فِي البُنيانِ"، ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لي: " يَا عُمَرُ أَتَدرِي مَن السَّائِلُ؟" قُلتُ: اللهُ ورسولُهُ أَعلَمُ قَال: " فَإِنَّهُ جِبريلٌ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُمْ" (26)رواه مسلم

ففي هذا الحديث الطويل سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فعدد له النبي صلى لله عليه وسلم أركانه، حتى، "وتؤمن بالقدر خيره وشره" فـ"القدر" "أل" فيه عوض عن المضاف إليه أي (تقدير الله) أي أن تؤمن بتقدير الله الأمور وإحاطته بها علما"(27)، وبهذا تكون "أل" المقترنة بلفظ (القدر)نائبة عن الضمير ومؤدية وظيفته في الربط عن طريق الإحالة الداخلية القبلية أو إلى سابق، فيتحقق الاتساق الدلالي للنص وهو الإيمان بالقضاء والقدر من عند الله وحده.

إنّ "أل" التعريف أساسية في التمييز بين التعريف والتنكير ولقد رأينا أنها تتعلق بعملية ذهنية عرفانية للمخاطب دور أساسي فيها، فلكل "أل" تعريف مصحوب يكون إمّا معهودا في اللام العهدية وإمّا مدخولا في اللام الجنسية، والمعهود إمّا ذكري أو ذهني أو حضوري والمدخول إمّا استغراق خصائص الأفراد وإمّا الماهية والحقيقة والجنس.

والعلماء لم يقفوا عند حدود الحديث عن وظيفة "أل" في نقلها الاسم من النكرة إلى المعرفة، بل تجاوزوا ذلك إلى النظر على أنها أداة رابطة ربطا يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث إنها تشير إلى شيء سبق ذكره على أنهم قصروا وظيفتها الرابطية على "أل" العهدية عهدا ذكريا أو ذهنيا و"أل" النائبة عن الضمير، وأما الجنسية وذات العهد الحضوري فليستا كذلك، على خلاف ما يراه الباحث "محمد الشاوش" بأن "أل" التعريف المؤدية للربط النصي هي ذات العهد الذكري فقط أما "أل" ذات العهد الحضوري أو الذهني و "أل" الجنسية فهي أدوات تؤدي دور التعريف فقط والتعريف مظهر من مظاهر الربط النصي وليس مؤسسا له. (28)

وتم استعمال "أل" التعريف بمختلف أنواعها في المدونة قرابة ثلاث وأربعين ومائتي مرة (243) وفيما يلي دائرة نسبية توضح تركيز أحاديث الأربعين النووية على استعمال "أل" ذات العهد الذهني لتحقيقها التماسك النصي أكثر من بقية الأنواع ولأن الخطاب في أساسه عملية ذهنية.

نسب "أل" التعريف في أحاديث الأربعين النووية

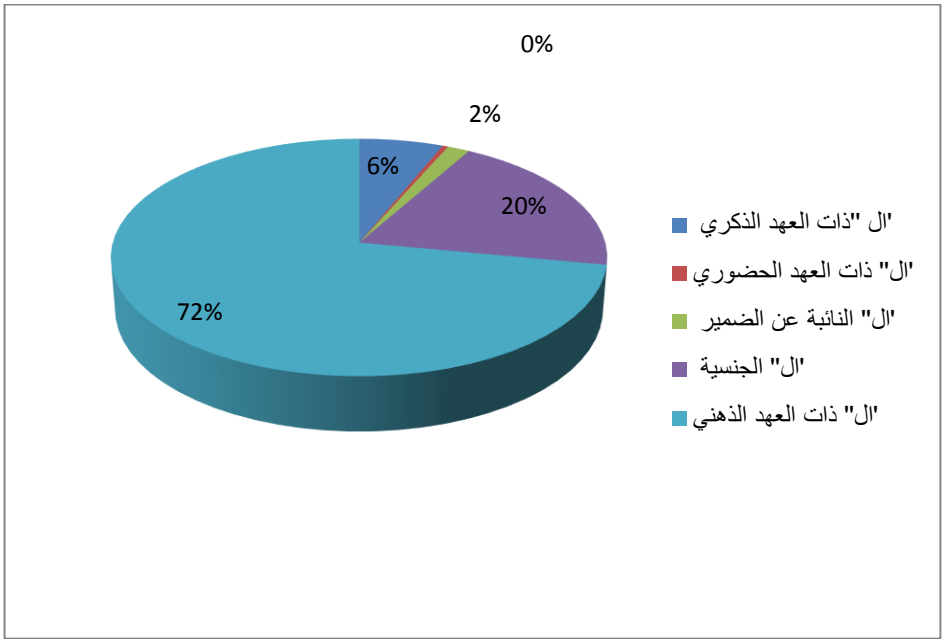

خاتمة :

وختاماً ومن خلال تتبعنا لورود "أل" التعريف في مدونتنا، وجدناها تحقق الترابط النصي، من خلال اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر، فهي أداة رابطة تشبه الضمير من حيث إنها تشير إلى شيء سبق ذكره، غير أنّ وظيفتها الرابطية تقتصر على "أل" العهدية عهدا ذكريا أو ذهنيا و"أل" النائبة عن الضمير أما الجنسية وذات العهد الحضوري فليستا كذلك وتساهم "أل" العهدية عموما في إثارة آلية من آليات الانسجام وهو مبدأ التأويل المحلي الذي يبعد المتلقي عن كل تأويل لا ينسجم مع السياق النصي، خصوصا "أل" العهد الذهني التي انفردت بنسبة كبيرة من ترددها في النص (72 %)، فهي تهيئ الوسط النصي للمتلقي من أجل استحضار " المعرفة الخلفية للعالم" التي تساعده على التأويل الصحيح للنص والانسجام معه.

الهوامش:

[1] – صالح الكشو: مظاهر التعريف في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،صفاقس، تونس، دط ، 1997، ص 71.

(2) – أبو البشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت180هـ): الكتاب علق عليه ووضع حواشيه، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1999،ج4، ص 147.

(3) – أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي(ت 626 هـ) :مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.، ص 116.

(4) – ذكر ابن مالك أنّ الهمزة عند الخليل أصلية ،وعند سيبويه زائدة،وقال بعد ذلك :والصحيح عندي قول الخليل –وهو القول بأنّ المُعَرِف هو أل برمّتها،وأنّ الهمزة حرف أصلي يعني أنّ الموضوع للتعريف هو أل ،لا اللام بشرط زيادة الهمزة– ويدل لصحته أربعة أمور :

الأول:أنّه يلزم على القول بزيادة الهمزة تصدير حرف زائد في كلمة ليست أهلاً للزيادة ،وهي حرف التعريف .

الثاني:أنّه يلزم عليه أيضا أن توضع كلمة واجبة التصدير –أي الوقوع في أول الكلمة –على حرف واحد ساكن ،مع العلم بأنّ الحرف الساكن لا يبدأ به ،لأنّ ذلك مخالف للحكمة التي عهدت من العرب في استعمالهم.

الثالث:أنّه يلزم عليه أيضا افتتاح حرف من حروف المعاني بهمزة وصل زائدة ،وهذا ما لا نظير له.

الرابع:أنّ هذه الهمزة مفتوحة لزوما ،وهذا ما لا نظير له في كلام العرب ،ينظر:ابن هشام الأنصاري:شرح قطر الندى و بل الصدى،تح:محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبةالعصرية،بيروت ،لبنان،ط1997،2،هامش صفحة:134.

(5) – حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، عالم الكتب،القاهرة، ط 1، 2005،ص282.

(6) – محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس،نحو النص، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ج1، ص 128.

(7) – ينظر محمد خطابي: لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب – المركز الثقافي العربي، "، الدار البيضاء، بيروت،ط1، 1991م ، ص 17.

(8)–أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 2001م. ، ص 114.

(9)–عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري،(761–708هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت 1969.، ج1، ص 50.

(10)–يحي بن شرف النووي (ت676هـ): الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك للكتاب،الجزائر، ط 2، 2012.، ص8.

(11)–حسني عبد الجليل يوسف: إعراب الأربعين حديثا النووية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط 2، 2008، ص 58.

(12) – بروان ويول: تحليل الخطاب، تر و تعليق : محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1418هـ–1997م ، ص 72.

(13)– سيبويه: الكتاب، ج2، ص05.

(14)– براون ويول: تحليل الخطاب ص72.

(15)–الأربعون النووية، ص 29.

(16)–يحي بن شرف النووي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ابن دقيق العيد، محمد بن صالح العثيمين: شرح الأربعين النووية، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، دط، 2010، ص 130.

(17) – ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص 50.

(18)–الأربعون النووية، ص 5.

(19) – رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت 686هـ) : شرح كافية ابن الحاجب، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1998،1، ج1، ص 24.

(20) – سيبويه: الكتاب، ج2، ص 177.

(21)– ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص 51.

(22) – الأربعون النووية، ص 45.

(23) – أبو محمد الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،ط1، 1992، ص 198.

(24) – ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج2، ص 577.

(25) – تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب،القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص 94.

(26) – الأربعون النووية، ص 5

(27) – حسني عبد الجليل يوسف: إعراب الأربعين حديثا النووية، ص 34.

(28) – ينظر تفصيل ذلك: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطب، ج2، ص 595

القائمة الببليوغرافية :

أوّلاَ: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانياً: المصادر و المراجع:

1- أبو البشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت180هـ): الكتاب علق عليه ووضع حواشيه، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1999.

2- أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي(ت 626 هـ) :مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2000.

3- أبو محمد الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،ط1، 1992،

4- ابن هشام الأنصاري: 1- شرح قطر الندى و بل الصدى،تح:محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبةالعصرية، بيروت ،لبنان، ط1997،2 .
2- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت 1969.

6- أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 2001م.
7- بروان ويول: تحليل الخطاب، تر و تعليق : محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود الرياض، 1418هـ-1997م .
8- حسني عبد الجليل يوسف: إعراب الأربعين حديثا النووية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط 2، 2008
9- حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، عالم الكتب،القاهرة، ط 1، 2005 .
10- يحي بن شرف النووي (ت676هـ): الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك للكتاب،الجزائر، ط 2، 2012 .
11- محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس،نحو النص، جامعة منوبة المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001 .
12- محمد خطابي: لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب – المركز الثقافي العربي، "، الدار البيضاء بيروت،ط1، 1991م .
13- صالح الكشو: مظاهر التعريف في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،صفاقس، تونس، دط 1997 .
14- **رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت 686هـ)** : شرح كافية ابن الحاجب، تقديم إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1998 .
15- **تمام حسان**: الخلاصة النحوية، عالم الكتب،القاهرة، مصر، ط2، 2005.